**كيف نقرأ الصورة**

( كيف يأتي المعنى الى الصورة) يتساءل السيميائي الفرنسي ( رولان بارت) والاجابة بالطبع ليست سهلة، لآن الصورة دائماً تعرض شيء فهي محض صدفة خالصة ولايمكن ان تكون غير ذلك على عكس النص اللغوي الذي يستطيع عن طريق التأثير المباغت للكلمة الواحدة ان يمرر جمله من الوصف الى التأمل لان الصورة تتسم بأمتلاكها قوة راصدة، لذا تفوق سلطة التصديق فيها سلطة التمثيل للواقع والاشياء ومن هنا خطورتها، حيث كان لبعض الصور تأثير هائل في الرأي العام الدولي، كصورة الطفلة نصف المحترقة وهي تركض عارية تماماً في مذبحة ( ماي لاي) التي ارتكبتها القوات الأمريكية في فيتنام، وصور جرائم الاميركان بحق العراقيين في سجن ابو غريب والطفل اللاجيء السوري غريقاً على الساحل التركي، واستشهاد الطفل الفلسطيني (محمد الدره) على ايدي الصهاينة في فلسطين المحتلة على سبيل المثال، حيث حفلت بمعان اهنز لها الضمير الانساني في العالم، فما الذي يحدد المعنى في الصورة، ويجيب (بارت) ان (مايحدد طبيعة المعنى في الصورة هو تنظيم الفضاء فيها او بشكل خفي تنظيم المادة والشكل واللون).

حيث تتم عملية قراءة وتكون المعنى في الصورة من خلال ثلاثة مستويات هي:

1. **المستوى الاخباري:**

وهو المستوى التقريري للصورة، مستوى الاتصال بين المرسل والمتلقي عبر( الرسالة –الصور) التي جوهرها لن تكون شيئاً أخر غير اعادة انتاج الواقع مضافا اليه ضرورات التقليص بالانتقال من الحجم الطبيعي الى حجم الصورة ومن الابعاد الثلاثة للفضاء المرجعي( طول – عرض – عمق ) الى بعدي السطح الذي تظهر عليه ، ومن الحركة المتواصلة للحياة الى سكونية الصورة التي تبلغنا وهي تقدم على الفور تفاصيلها في وقائع بصرية تشكل ظواهر تواصلية تقوم بعملية الاخبار والابلاغ عن هذه الوقائع ليس الا داخل اطارة الصورة.

1. **المستوى الايحائي (الرمزي) :**

ان عين المصور تسجل تشابه او تماثل بين لحظة في الطبيعة وأبدٍ مطلق في الصورة وهذا التشابه يربط الصورة بالواقع المدرك، انه سوى توافق حقل الرؤية وصورة تحل محله، الا أن هذه الصورة شيء أخر غير الاستنساخ الحرفي لواقع مرئي لا مراء فيه، فما يأتي الى العين هو نظرة تنظر الى الاشياء لا الاشياء ذاتها، فغاية كل تواصل بصري هي استنفار لكم هائل من الاحاسيس التي تتوسل بالنظر اكثر مما تستدعي الكلمة لأدراك مداها، إنها مبثوثة في الحجم واللون والشكل والامتداد لذلك ( فأن الصورة تحرمنا من الكلام لكي تعلمنا فن النظرة) كما يقول ( غي غوتيه)، ومن ثم فلا وجود لصورة، تدل فقط على ماتقدم للعين بشكل مباشر، فالعين (أمارة بالتأويل) دائماَ ولا شيء في الكون يمنعها ان تنتشي بمعان يهتز لها حتى من في القبور وهذه الدلالات تأتي من علاقاتها بخارج مجال الصور، ولا تمتلك معنى الا من هذا الـ( خارج – مجال)، انه الثقافي والاجتماعي والديني والسياسي والحضاري... الذي يسبغ على الصورة دلالاتها الضمنية اي الايحائية حيث المعنى داخلها يستدعي كل ذلك كشرط اولي للامساك بممكنات التدليل فيها من مفردات لغة محملة بالرموز والايحاء فصور الاطفال العراقيين وعوائلهم وهم ينبشون في تلال القمامة، لايحمل معناها الاخبار التقريري غير ذلك، ولكن دلالاتها الايحائية تأتي من انهم يعيشون في بلد غني يطوف على بحيرات من النفط حيث تتحول الصورة الى صورة ( تحريضية) لأَدانه هذا الواقع ورفضه اي ان دلالاتها الايحائية تنصب في معنى رمزي واضح مستمد من المعنى الاخباري.

1. **المعنى الثالث:**

وهو المعنى غير المحدد، المعنى الممتد خارج الثقافة والمعرفة وخارج ما يخبر عنه، انه دال من غير مدلول عليه كما يقول ( رولان بارت) الذي أول من أصل هذا المعنى للصورة ولكنه يفتح مجال المعنى كلياً فأذا كان المستوى الاخباري هو الوجه الاول للصورة وما يمكن ان تلتقطه العين المبصرة خارج كل المقاصد الممكنة لالتقاط الصورة والوجه الثاني يختص الرمزي بكل امتداداته ، فأن ( المعنى الثالث) هو نقيض الاول وينزاح عن الثاني ليدل على معنى من طبيعة خاصة، أنه يختفي في جزيئات الاشياء والكائنات وفي وجوهها و هيئتها ونظراتها، إنها عناصر تفلت من العين العادية ولا تلتقطها سوى العاشقة من العيون، أنه معنى شبيه بمعنى ( صرخة تمزق سكون الليل ولا نستطيع تحديد مصدرها) انها تشتغل بوصفها علامة حاملة لانفعالات تؤول بأعتبارها معنى مضافاً يتجاوز الصرخة ذاتها، إنها انفعالات لايمكن تحديد مصدرها لارتباطها بكل خبايا النفس البشرية، وصورة القيصر الروسي ( ايفان الرهيب) والوصيفات يصبان على رأسه اكياس الذهب، ليس فيها مايدل على المعنى الثالث. وليس هناك مدلول بعينه، ولكنه موجود ويشكل افقاً بسيرورة تأويلية لايمكن للعين تجاهلها او التنكر لها، انه المعنى الحدسي الذي ينجبس من النفس دون ان نعرف له تحديداً، واخيراً علينا ان نتذكر دائماً أن ( نظام المشاهدة(Spectatio) اي قراءة الصورة الصحفية العامة هي دائماً في عمقها قراءة خاصة، وان جوهر الفوتوغرافيا بسيط مألوف ليس فيها عمق ( ذلك – كان موجوداً) لذا فأن الموضوع في الصورة يسلم نفسه برمته ورؤيتنا له يقينية على عكس النص المكتوب و المدركات الآخرى التي تعطينا الموضوع , بطريقة مشوشة قابلة للجدل وتحرضنا بذلك على الارتياب فيما نتصور أننا نراه ( اليقين كسيد مطلق).